منذر بن سعيد البلوطي
(273-355هـ/886-966م).

أ. حاج عبد القادر يخلف*

مقدمة: شخصية أندلسية محلّية خرجت من غياهب الظلمات إلى دائرة الضوء، في وقت تحوّلت فيه الإمارة الأموية إلى خلافة، فحملت على عاتقها تشجيع الوافدين إليها من الشخصيات المشرقية البارزة التي ذاع صيتها هناك، ليتسنّى لها تزيين بلاطها بهؤلاء للرّفع من شأنها ومنافسة أعدائها العبّاسيين ونكاية فيهم، وكانت حادثة واحدة- لكنها ليست ككلّ الحادثات- كفيلة بالكشف عن رجل عظيم من العدم إلى الوجود، حينما خرج عن صمته وأبان عن مكنوناته وفجّر طاقاته في لحظة حاسمة، تلعثمت فيها الألسن ثم خرست، فانطلق كالسيل العرم لا يتوقّف عن الكلام، معبّرا بلسان عربيّ مبين، عن كلّ ما أراد وكيفما أراد، فأدهش الحضور وجعلهم يتساءلون، عم يتساءلون؟ عن من يكون هذا المجهول؟ فعرفه من جهله، وتبوّأ عند عبد الرحمن الناصر منزلة وصارت له حظوة، جعلته يعيّنه قاضيا على القضاة ولا يرضى بديلا عنه في صلاة الجماعة والجمعة بقرطبة. إنّ هذه الحادثة هي يوم الاحتفال بدخول رسول قسطنطين على الناصر، وإنّ الرجل الذي هزّ بصوته في خطبته العجيبة أرجاء قصر الخليفة هو منذر بن سعيد البلّوطي. الذي أصبح علما من أعلام الفكر والثقافة بالأندلس، وكان إلى جانب ذلك التقي الورع، والناصح الأمين والعادل الذي لا يخشى في الله لوم لائم.

الولادة والنشأة العلمية: هو منذر بن سعيد بن عبد الملك بن عبد الرحمن بن قاسم بن عبد الله البلّطي ثم الكزني القرطبي، ويكنّى أبا الحكم، وينسب في البربر في فخذ منهم يقال لهم كزنة[1]، ولد سنة 273هـ في ولاية الأمير المنذر بن عبد الله، سادس أمراء الدولة الأموية بالأندلس(273-275هـ)[2]، وهو منسوب إلى فحص البلوط[3]، الذي يبعد عن قرطبة بمرحلتين أو ثلاث[4]، وكان هذا الفحص يسكنه البربر وأكثر أرضهم شجر البلوط[5].

وحينما نعود إلى المصادر التي كتبت عنه نجدها تترجم له بدءا من سنة 308هـ، التي ارتبطت برحلته إلى مكّة[6]، ولعلّ حياته قبل الرحلة كانت حافلة بالجلوس بين يدي أئمّة العلم في عصره

* أستاذ مساعد أ في تاريخ المغرب الإسلامي- قسم العلوم الإنسانية- تاريخ- جامعة وهران1 أحمد بن بلة.

والسّماع منهم، فلم يختلف عن مذهب أهل الأندلس في التعليم، الذي كان يقضي بتقديم تعليم العربية والشعر على سائر العلوم، لأنّ الشعر ديوان العرب، ثم ينتقل منه إلى الحساب فيتمرّن فيه المتعلّم حتى يرى القوانين، ثم ينتقل إلى درس القرآن، فإنّه يتيسّر عليه بهذه المقدّمة[7].

وبعد أدائه لمناسك الحجّ والعمرة، مكث بأمّ القرى فأخذ من ابن المنذر كتابه المؤلّف في الاختلاف المسمّى كتاب: " الأشراف"، وأخذ من غيره[8]. وروى بمصر كتاب " العين" للخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، من أوّل حرف العين وهو أوّل الكتاب، إلى آخر حرف الخاء، عن أحمد بن محمد أبو العبّاس المعروف بولاّد، عن أبيه عن أبي الحسن علي بن مهدي عن أبي معاذ عبد الجبّار بن يزيد، عن أبي بشر الليث بن نصر بن سيّار عن الخليل بن أحمد[9]، كما أخذ بمصر عن أبي جعفر النحّاس[10]، ودامت مدّة رحلته أربعين شهرا[11].

وأنبأ بالأندلس كتاب " الأمالي"، لأبي علي إسماعيل البغدادي المعروف بالقالي[12]، وسمع بقرطبة من عبيد الله بن يحي الليثي[13]، وقد تتلمذ على يديه خلق كثير، منهم يعيش بن زغلل بن سعيد بن عبد الله الكزني البلوطي أبو سليمان، وهو ابن أخي القاضي منذر بن سعيد، الذي روى عن عمّه، ووقع ذكرة في فضائل منذر من جمع أبي عمر بن عبد البر[14]. ومنهم أبو أحمد جعفر بن عبد الله الذي سمع منه كتاب الأمالي[15]، كما روى عنه أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أسد الجهني، وأحمد بن قاسم بن عبد الرحمن التاهرتي، وكان مختصا به[16].

وتمكّن منذر بن سعيد أن يجمع صنوفا من العلم، نافس بها أهل المعرفة، فقد كان ذا علم بالقرآن والجدل، وكان أخطب أهل زمانه غير مدافع، وأعلمهم بالحديث، وله رسائل بيّنة وأشعار مطبوعة[17]، اعترف له بها من قبل أهل العلم في المغرب وطارت شهرته حتى بلغت آفاق المشرق.

العلوم التي برز فيها:

أ/- علوم القرآن والتفسير: كان منذر ثاقب الدهن غزير العلم[18]، وقد وصفت تصانيفه بالكثرة[19]، ومنها ما يتعلّق بالقرآن، حيث كان حافظا لما قالت العلماء، في تفسير القرآن وأحكامه، كثير التلاوة له، حاضر الشهادة بآياته، له فيه كتب مفيدة، منها كتاب " الأحكام"[20]، وهو كتاب في غريب القرآن، وتفسير معانيه وأحكامه، واختلاف العلماء في حلاله وحرامه[21]، وكتاب " الناسخ والمنسوخ"[22].

ولا تخلو كتب التفسير من الإشارة إلى أقواله في تفسير الآيات القرآنية، تفسيرا ينفرد به عن غيره من المفسّرين، والأمثلة على ذلك كثيرة، لا يمكن حصرها في هذا المقام، ولا بأس أن نذكر

بعض الأمثلة ليتضح المقال. ومن ذلك تفسيره للآية 16 من سورة الفتح ﴿قل للمخلّفين من الاعراب ستدعون إلى قوم اوْلي بأس شديد تقاتلونهمُ أو يسلمونَ فإن تطيعوا يوتكمُ الله أجرا حسنا وإن تتولّوا كما تولّيتم من قبل يعذّبْكم عذابا اَليما﴾، أمر الله نبيّه عليه الصلاة والسلام بالتقدمة إلى هؤلاء المخلّفين، بأنّهم سيؤمرون بقتال عدوّ بئيس، وهو يدلّ على أنّهم كانوا يظهرون الإسلام، وإلاّ فلم يكونوا أهلا لهذا الأمر، واختلف الناس (المفسّرون) من القوم المشار إليهم في قوله: [إلى قوم اوْلي بأس شديد]، فقال بعضهم: هم هوازن ومن حارب رسول الله صلى الله عليه وسلّم في حنين، وقيل: هم من حورب وغلب في فتح مكّة، ومنهم من رأى أنّهم الرّوم الذين خرج إليهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم عام تبوك والذين بعث إليهم في غزوة مؤتة، وآخرون قالوا: هم أهل الردّة وبنو حنيفة باليمامة، وانفرد منذر بن سعيد بقوله: يتركّب على هذا القول أنّ الآية مؤذنة بخلافة أبي بكر الصدّيق وعمر بن الخطّاب رضي الله عنهما، يريد لما كشف الغيب أنهما دعوا إلى قتال أهل الردّة. وقد نحا نحوه الثعلبي فيما حكاه عن رافع بن خديج أنّه قال: والله لقد كنّا نقرأ هذه الآية فيما مضى ولا نعلم من هم، حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنّهم أريدوا، وزاد منذر على ذلك أنّ الله رفع في هذه الآية الجزية، وليس من سبيل إلاّ القتال أو الإسلام، وهذا لا يوجد إلاّ في أهل الردّة[23].

وأمّا قوله تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبيّنوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ سورة الحجرات، الآية 6. قال منذر هذه الآية تردّ على من قال إنّ المسلمين كلّهم عدول، حتى تثبت الجرحة لأنّ الله تعالى أمر بالتبيّن قبل القبول[24]. ومن نوادر الاستدلال القرآني عند منذر استدلاله على أنّ العربي غير مطبوع على العربية[25]، بقوله تعالى: ﴿والله أخرجكم من بطون أمّهاتكم لا تعلمون شيئا﴾. سورة النحل، الآية 78.

واختلف علماء المسلمين في القول بالمجاز في القرآن، فقال به البعض ومنهم شيخ الإسلام عزّ الدين بن عبد السّلام وأحمد بن حنبل، ومنعه آخرون ومنهم الغزالي الذي نسبه في المنخول إلى الحشوية، وداود الظاهري، وأبو الوليد الباجي من المالكية، وإليه ذهب منذر بن سعيد في أحكام القرآن، وقيل في ذلك: إذا أنكر المجاز في اللغة، فلأَنْ يُنكِرَهُ في القرآن من طريق أولى، لأنّ القرآن نزل بلغتهم[26].

وذكر القاضي منذر في كتابه الأحكام في غريب القرآن، أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله تعالى عنه قام خطيبا، فقال أيّها الناس لا تغالوا مهور النساء، فلو كانت مكرمة في الدنيا أو تقوى عند

الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ما أصدق امرأة من نسائه أكثر من اثنتي عشرة أوقية، فقامت إليه امرأة فقالت: يا أمير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا، والله يقول: ﴿وءاتيتم إحداهنّ قنطارا﴾. النساء، الآية 20. قال عمر كلّ أحد أعلم من عمر، ثم قال لأصحابه: تسمعوني أقول مثل هذا، ولا تنكرون حتى تردّ عليّ امرأة ليست من أعلم النساء[27].

ب/- **علم منذر بالسّنة والفقه والعقيدة والتوحيد:** وصف الزبيدي صاحب تاج العروس منذر بن سعيد في ترجمته له فقال: كان أعلم أهل زمانه بالحديث[28]، فبالإضافة إلى القرآن ألّف في السنّة والورع والردّ على أهل الأهواء والبدع[29]. ولعلّ الإشارة وحدها تكفي بهذا الصدد إذا علمنا أنّ الرجل كان من المفسّرين، فلا يقتصر تفسير القرآن على القرآن دون النظر في شرحه وبيانه وهو السنة، لأنه إذا كان كلّيا وفيه أمور كلّية، كما في شأن الصلاة والزكاة والحج والصوم ونحوها، فلا محيص عن النظر في بيانه، وبعد ذلك ينظر في تفسير السلف الصالح له، إن أعوزته السنة، فإنّهم أعرف به من غيرهم، وإلاّ فمطلق الفهم العربي لمن حصله، يكفي فيما أوعز من ذلك والله أعلم[30].

وأمّا في مجال الفقه والردّ على أهل المذاهب، فقد كانت له تأليفات[31]، أخذها الناس عنه وقرءوها عليه[32]، ولئن كانت هذه المؤلفات لم تصل إلينا، فإنّ القارئ يجدها في ثنايا المصادر التي أوردت نتفا من فتاويه، وما كان يراه في المسائل الفقهية التي تعرض عليه، فكان مذهبه في الفقه مذهب النظار والاحتجاج وترك التقليد، وكان عالما باختلاف العلماء يميل إلى رأي داود (الظاهري) بن علي بن خلف العباسي ويحتجّ له[33]، لعلمه بالجدل الذي كان حاذقا فيه، شديد العارضة، حاضر الجواب، ثابت الحجّة[34]، فطنا مناظرا ذكيا[35]. من بين المسائل التي أفتى فيها الوصيّة، التي قال بفرضية حكمها، ورأى أنّ حكمة مشروعيتها تكمن في تقوية الزّاد إلى المعاد[36].

ومن مصنفاته أيضا " كتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة"[37]، والظاهر أنّ هذا الكتاب يختصّ بالعقيدة والتوحيد، ومن أهمّ ما ناقشه في هذا المجال، قضية الكلام في خلق الجنّة والنّار، حيث ذكر بأنّهما مخلوقتان إلاّ أنّه كان يقول: إنّها ليست التي كان فيها آدم عليه السلام وامرأته، واحتجّ على ذلك بأشياء منها أنّه لو كانت جنّة الخلد لما أكل من الشجرة، رجاء أن يكون من الخالدين، وأنّ جنّة الخلد لا كذب فيها، وقد كذب فيها إبليس، وقال من دخل الجنّة لم يخرج منها، وأدم وامرأته عليهما السلام قد خرجا منها[38]. وقال ابن كثير: هذا القول محكي عن أبي بن

كعب وعبد الله بن عبّاس ووهب بن منبّه وسفيان بن عيينة، واختاره ابن قتيبة في المعارف، والقاضي منذر بن سعيد البلّوطي في تفسيره، وأفرد له مصنّفا على حدة[39].

ج/- **علوم اللغة والأدب**: كان منذر بن سعيد نحويا فاضلا، وخطيبا مصقعا وشاعرا بليغا، وكانت له في هذا الشأن رسائل وخطب مجموعة، وأشعار متفرّقة مطبوعة[40]، وعدّ من أخطب أهل زمانه غير مدافع، مع ثبات جنان وجهارة صوت وحسن ترسّل[41]، ومن خطبه التي رصدها لنا المصادر الإسلامية: الخطبة الشهيرة التي ألقاها بحضرة النّاصر، في الاحتفال بدخول رسول قسطنطين بن ليون صاحب قسطنطينية على الخليفة موفدا إليه مع وفود سائر ملوك الإفرنجة، عندما جلس النّاصر على سرير ملكه للقاء الوفود بقصر قرطبة، يوم السبت لأحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وثلثمائة، وكان المجلس محتفل بأهل الخدمة، وهم قيام على أقدامهم، فأمر الحكم ابن الناصر الفقيه محمد بن عبد البرّ الكسنياني بالتأهب لإلقاء خطبة بليغة بين يدي الخليفة، وكان يدّعي قدرته على ذلك، فلمّا حضر المجلس السلطاني، ارتعدت فرائسه وقام مرتجفا وقد بهره هول المقام وأبّهة الخلافة، فسقط على الأرض مغشيا عليه.

وإنقاذا للموقف قيل لأبي علي القالي- وهو أمير الكلام- أن يتكلّم، فلم يزد على الحمدلة والثناء على الله بما هو أهل له، والصلاة والسلام على نبيّه محمد، ثمّ انقطع كلامه فسكت، وعندئذ قام منذر بن سعيد فارتجل خطبة عجيبة، ذكر فيها حقّ الخلافة، وفرض الطّاعة وضمّنها بعضا من الآيات، وسجّع خطبته وساقها في أسلوب بليغ، فلمّا انتهى خرج الناس يتحدثون عن مقامه، وثبات جنانه وبلاغة منطقه[42]. وقيل: إنّ النّاصر سأل ابنه الحكم عنه، وقال: لقد أحسن ما شاء، فلئن كان حبّر خطبته هذه، وأعدّها مخافة أن يدور ما دار فيتلافى الوهْي، فإنّه لبديع من قدرته واحتياطه، ولئن كان أتى بها على البديهة لوقته، فإنّه لأعجب وأغرب[43].

وإذا كان هذا حاله مع اللغة، فكيف كانت أحواله مع الشعر؟ إنّ مكانة منذر كشاعر لم تكن تختلف مكانته كلغوي، ذلك أنّه ترك لنا أشعارا متفرّقة مطبوعة وحسنة، بين ثنايا المصادر اللغوية والتاريخية المعاصرة لهن ومن أبدع وأروع ما حفظته لنا هذه المصادر من أشعاره- وليس ذلك إلاّ غيض من فيض- قصيدته التي وصل بها خطبته السّابقة الذكر، حيث قال:

مقالٌ كحدِّ السيف وَسْطَ المحافل ... فَرَقْتُ به ما بين حقٍّ وباطلِ
بقلبٍ ذكيٍّ ترتمي جنباته ... كبارق رعدٍ عند رَعْشِ الأناملِ
فما دَحضَتْ رجلي ولا زلّ مِقْوَلي ... ولا طاشَ عقلي يوم تلك الزلازلِ
وقد حدَّقَتْ حـــولي عُيُونٌ إخالها ... كمثل سهامٍ أُثبِتَتْ في المقاتل
لخير إمامٍ كان أو هو كائن ... لِمُقْتَبَلٍ أو في العصور الأوائل
ترى الناسَ أفواجاً يؤمّون بابه ... وكلُّهُمُ ما بين راجٍ وآملِ
وفود ملوكِ الرّومِ وَسْطَ فِنائِه ... مخافةَ بأسٍ أو رجاءً لنائلِ
فعِشْ سالما أقصى حياة مؤمَّلاً ... فأنت غيّاثُ كلِّ حافٍ وناعلِ
ستملكها مابين شرقٍ ومغربٍ ... إلى دربِ قسطنطين أو أرض بابلِ(44)

وروي عنه حكاية مشهورة مع أبي جعفر النحّاس النحوي، أثناء إقامته بمصر، حيث جلس يستمع إليه، فأملى أبو جعفر فيما أملاه قول الشّاعر قيس بن معاذ المجنون: [من الطويل]

خليليَّ هل بالشّام عينٌ حزينةٌ ... تبكي على ليلى لعلّي أُعينُهَا
قدْ أسلَمَها الباكونَ إلاّ حمامةً ... مطوَّقَةً باتَتْ وباتَ قرينُها
تُجاذِبُها أُخرى على خيزُرَانةٍ ... يَكَادُ يُدانيها من الأرضِ لينُها

فقال له منذر بن سعيد: أيّها الشّيخ أعزّك الله بات يصنعان ماذا؟ فقال أبو جعفر فكيف تقول أنت؟ فقال له منذر: بانت وبان قرينها، فاستبان أبو جعفر ما قال، وقال له: ارتفع، و لم يزل يرفعه حتى أدناه منه. وكان يعرف ذلك له بعد ذلك ويكرمه(45). قلت ودلّت هذه الرواية بما فيه الكفاية، على معرفة منذر بديوان العرب وحفظه واهتمامه بالشعر حفظا ونظما.

وتجدر الإشارة إلى أنّه كان لمنذر بن سعيد مراسلات إلى أقرانه ونظرائه من العلماء، ومن ذلك ما ذكره السلفي بإسناد له، قال: أخبرنا أبو الحكم منذر بن سعيد البلّطي، قال كتبت إلى أبي علي البغدادي القالي استعير منه كتابا من الغريب، وقلت:

بحقّ رئمٍ مهفهفٍ ... وصدغه المتعطّـــف
ابعث إليّ بجزء ... من الغريب المصنّف

فقضى حاجته وأجابه شعرا بقوله:

وحقّ درٍّ تألّف بفيك أيّ تألّف
لأبعثنّ بما قد حوى الغريب المصنّف
ولو بعثت بنفسي إليك ما كنت أسرف[46]

وكتب أحد الأدباء إلى القاضي منذر بقوله:

مسألة جئتك مستفتيا عنها وأنت العالم المستشارْ
علام تحمرُّ وجوهُ الظِّبا وأوجُهُ العشّاقِ فيها اصفرارْ

فأجابه منذر بقوله:

احمرّ وجهُ الظَّبي إذ لحظَهُ سيفٌ على العشّاقِ فيها احورارْ
واصفرَّ وجهُ الصّب لّما نأى والشمس تبقي للمغيب اصفرارْ[47]

د/- مهمّة القضاء وأمانة الإمامة:

القضاء: كان سبب اتصال منذر بالنّاصر ما ظهر من بلاغته، يوم الاحتفال بقدوم رسول قسطنطين على الخليفة فيما تقدّم ذكره، فأدناه منه وولاّه الصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء، ثمّ قطع له بقضاء الجماعة[48]، وكان ولّي قبل ذلك القضاء في مدينة ماردة وما والاها، ثم ولي قضاء الثغور الشرقية، سنة ثلاثيت وثلاثمائة[49]، حتى إذا كانت سنة تسع وثلاثين ولي قضاء الجماعة[50]. ولما توفي الناصر خلفه ابنه الحكم فأقرّه على القضاء، واستعفى غير مرّة فما أعفاه، وكان وقورا صليبا في الحكم، مقدما على إقامة العدل والحقّ، وإزهاق الجور والباطل، آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر[51]، فطالت أيّامه وحمدت سيرته.

الثّابت عند أهل العلم أنّ منذرا كان يميل لمذهب داود الظاهري، إلاّ أنّه كان إذا جلس للقضاء حكم بمذهب الدولة في الأندلس، وهو مذهب مالك رضي الله عنه، فكان رغم علمه باختلاف العلماء، يشاور في المسألة التي ترد عليه أصحاب مالك، ويأخذ بإجماع الفقهاء ويحكم بقولهم، كمسألة من حبس على ولده وهم صغار كلّهم، فإن مات كان الحبس لهم جائزا[52].

ولم تحفظ له جور ولا جرّبت عليه في أحكامه زلّة، غير أنّه كانت له مع الاختلاف داخل المذهب المالكي حادثة حول اختلاف العلماء في الأصول التي لا تراد إلاّ لخراجها، ولا تقبل القسمة كالفرن والحمّام والرّحى والحانوت وما أشبه ذلك، هل تجب فيه شفعة أو لا؟

والتوضيح في الشفعة فيما لا يقبل القسمة إلاّ بضرر قولان، وهما لمالك وابن عبد السلام، وفي المدوّنة على كلّ واحد منها، وبعدم الشفعة قال ابن القاسم ومطرّف، وبالشفعة قال أشهب وابن الماجشون وأصبغ. قال صاحب الذخيرة وعدم الشفعة هو المشهور، وقال صاحب المفيد وبه القضاء، وأفتى به فقهاء قرطبة لما جمعهم القاضي منذر بن سعيد، إذ كان به القضاء عندهم. فرفع الشفيع أمره إلى الخليفة عبد الرحمن النّاصر، وقال حكم عليّ بغير قول مالك، فوقّع بخطّ يده إلى القاضي أن يحمله على قول مالك ويقضي له به، فجمع القاضي منذر الفقهاء وشاورهم فقالوا: مالك يرى في الحمّام الشفعة، فقضى منذر بذلك وحكم له بها[53].

ويبدو أنّ هذا ومثله هو ما حمل منذر بن سعيد على نظم أبات من الشعر، بيّن فيها موقفه من تعصّب أهل الأندلس للمذهب المالكي، معيبا عليهم ذلك في قوله: [من الطويل]

عذيري من قوم يقولون كلّما ... طلبْتَ دليلاً هكذا قال مالكُ
وإن عُدتَ قالوا هكذا قال أشهب ... وقد كان لا يخفى عليه المسالكُ
وإن زدت قالوا قال سحنون مِثْلَهُ ... ومن لم يقل ما قاله فهو آفكُ
فإن قلتَ قالَ اللهُ ضجُّوا أو أكثروا ... وقالوا جميـــعا أنت قرنٌ مُمَاحَكُ
وإن قلت قال الرسول فقولهم ... أتَتْ مالكا في تركِ ذاكَ المآلكُ[54]

وإذا كان هذا موقف منذر من التقليد والمقلّدين من الفقهاء، على اعتبار مذهبه في الفقه مذهب النظّار والاحتجاج وترك التقليد، فإنّه ذمّ أيضا الإكثار من الحديث دون التفهّم والتفقّه فيه بقوله: أنعق بما شئت تجد أنصارا، ورم أسفارا تجد حمارا يحمل ما وضعت من أسفار، مثله كمثل الحمار يحمل أسفارا له، وما درى إن كان ما فيها صوابا، أو أخطأ إن سئِلوا قالوا كذا روينا[55].

ولأنّ منذر بن سعيد كان يعرف حقّ المعرفة ما يقتضيه القضاء من عدل، وواجب التحرّي فيما كان يعرض عليه من قضايا ومسائل، ويقدّر عظم هذه الأمانة واختلافها باختلاف الزمان والمكان والأشخاص، فقد أثر عنه قوله في التزكية: اعلم أنّ العدالة من أشدّ الأشياء تفاوتا وتباينا، ومتى حصلْتَ ذلك عرَفْتَ حالة الشهود، لأنّ بين عدالة أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وعدالة التابعين رضي الله عنهم، بَوْنٌ عظيم وتباين شديد، وبين عدالة أهل زماننا وعدالة أولئك، مثل ما بين السماء والأرض! وعدالة أهل زماننا على ما هي عليه بعيدة التباين أيضا[56].

ومن هذا المنطلق بنى البلّوطي مواقفه وأحكامه لأهل العلم والحكم، على الصراحة والدليل لا غير، و لم يكن يخشى في ذلك لوم لائم. ومن مشهور ما جرى له في ذلك قصّته في أيتام أخي نجدة، وحدّث بها جماعة من أهل العلم والرواية، وخلاصتها أنّ الخليفة النّاصر احتاج إلى شراء دار بقرطبة لحظيّة من نسائه، فاستحسن دارا لأولاد زكريا أخي نجدة، في الربض الشرقي منفصلة عن دوره، ويتصل بها حمّام له غلّة واسعة، وكان هؤلاء الأولاد أيتاما في حجر القاضي، فأرسل الخليفة من قوّمها له بثمن، وأرسل ناسا أمرهم بمداخلة وصيّ الأيتام في بيعها عليهم، فذكر أنّه لا يجوز غلاّ بأمر القاضي، إذ لم يجز بيع الصل إلاّ عن رأيه ومشورته، فأرسل الخليفة إلى القاضي منذر في بيع هذه الدار، فقال لرسوله: البيع على الأيتام لا يصحّ إلاّ لوجوه، منها الحاجة ومنها الوَهْي الشديد، ومنها الغبطة، فأمّا الحاجة فلا حاجة لهؤلاء الأيتام إلى البيع، وأمّا الوهي فليس فيها، وأمّا الغبطة فهذا مكانها. فإن أعطاهم أمير المؤمنين فيها ما تستبين به الغبطة، أمرت وصيّهم بالبيع وإلاّ فلا، فنقل جوابه إلى الخليفة، فأظهر الزّهد في شراء الدّار، طمعا أن يتوخّى رغبته فيها، وخاف القاضي أن تنبعث منه عزيمة تحلق الأيتام سورتها، فأمر وصيّ الأيتام بنقض الدّار وبيع أنقاضها، ففعل ذلك وباع الأنقاض، فكانت لها قيمة أكثر ممّا قُوّمت به للسلطان، فاتصل الخبر به، فعزّ عليه خرابها، وأمر بتوقيف الوصيّ على ما أحدثه فيها، فأحال الوصي على القاضي أنّه أمره بذلك، فأرسل عندئذ للقاضي منذر، وقال له: أنت أمت بنقض الدّار؟ فقال له: نعم، فقال: وما دعاك إلى ذلك؟ قال: أخذت فيها بقول الله تعالى ﴿ وأمّا السفينةُ فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردتُ أن أعيبَها وكان وراءهم ملكٌ ياخذ كلَّ سفينةٍ غصبا﴾. الكهف، الآية 79. مقوّموك لم يقدّروها إلاّ بكذا، وبذلك تعلّق وهمك فقد نضَّ في أنقاضها أكثر من ذلك، وبقيت القاعة والحمّام فضلا، ونظر الله تعالى للأيتام. فصبر الخليفة على ما أتى ذلك، وقال: نحن أولى من انقاد إلى الحقّ، فجزاك الله تعالى عنّا وعن أمانتك خيرا[57].

ومن خلال ما تقدّم نتبيّن بوضوح تلك الصّورة الطيّبة للرّجل، التي تركت انطباعا حسنا عند العامّة والخاصّة ممّن عرفوه، فخصّه ابن عبد البرّ بتأليف سمّاه " أخبار القاضي منذر بن سعيد"[58].

الإمامة والصلاة: وأمّا بالنسبة للصلاة والخطابة في المسجد الجامع بالزهراء فذلك موضوع آخر، فقد كان أوّل من خطب على المنبر الحكمي بجامع قرطبة، وقام بما تقتضيه الإمامة على أحسن وجه، وهو أهل لذلك من غيره علما وعملا وعبادة وسمتا وسلوكا لا يخالف ظاهره باطنه، فكانت

خطبة جمعته يأتيها القاصي والدّاني من كلّ حدب وصوب، ذلك أنّه كان يعالج فيها مشاكل المجتمع بعرضها على الكتاب والسّنة، وما كان عليه الرّعيل الأوّل من الصحابة والتّابعين.

وممّا ذكر عنه في ذلك أنّ الخليفة النّاصر كلف ببناء مدينة تخلّد آثاره، وتدلّ على قوّة ملكه وعزّ سلطانه، فأمر ببناء مدينة الزهراء، واجتهد في تنميقها وتزويق وإتقان قصورها وزخرفة مصانعها، فشغله ذلك حتى عطّل حضور الجمعة بالمسجد الجامع ثلاث جمع متوالية، فلمّا كانت الجمعة التالية صلّى بالمسجد الجامع، فافتتح القاضي منذر خطبته مذكّرا وواعظا بقوله تعالى: ﴿أتبنون بكلّ ريع آية تعبثون، وتتخذون مصانع لعلّكم تخلدون، وإذا بطشتم بطشتم جبّارين، فاتّقوا الله وأطيعون، واتّقوا الذي أمدّكم بما تعملون، أمدّكم بأنعام وبنين، وجنّات وعيون، إنّي أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾. الشعراء، الآية 128-135. ولا تقولوا: ﴿سواء علينا أوعضت أم لم تكن من الواعظين﴾. الشعراء، الآية 136. فمتاع الدنيا قليل، والآخرة خير لمن اتقى، وهي دار القرار ومكان الجزاء[60].

فتحرّك الناس لذلك، وعلم النّاصر أنّه عرّض به، فلمّا فرغ قال لابنه الحكم فيما جرى عليه منه، ثمّ قال: لكن عليّ لله يمين ألاّ أصلّي خلفه ما عشت. فلمّا كانت الجمعة الثانية قال لابنه: كيف نصنع في اليمين؟ قال: يؤمر بالتأخّر، ويستخلف غيره، فاغتاظ الناصر وقال: أمثل هذا الرّأي الفائل تشير عليّ؟! والله لقد ندمت على ما فرط منّي في اليمين، وإنّي لأستحي أن أجعل بيني وبين الله غير منذر، ثمّ رأى أن يصلّي في جامع قرطبة فواصل ذلك بقية مدّته[61]. وفي رواية أنّه ردّ على ابنه الحكم قائلا: أمثل منذر بن سعيد في خيره وفضله وعلمه- لا أمّ لك- يعزل من أجل إرضاء نفس ناكبة عن الرّشد، سالكة غير القصد هذا ما لا يكون؟ وإنّي أستحي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه[62].

ودلّت هذه الرواية على ما ينبغي أن يكون العالم إزاء النّاس حكّاما ومحكومين، ومن باب أولى تجاه الحاكم الذي عيّنه في منصبه، ومن الأمانة أن يكون له النّاصح الأمين، ومن الخيانة أن يسكت على زلاّته ومخالفته لأحكام الشّارع، فيستحقّ بذلك أن يكون إماما يؤمّ المسلمين. كما أنّ الغضب الذي أعمى الخليفة النّاصر في الوهلة الأولى، والذي حمله على الحلف بيمين الله بعدم الصلاة خلفه، يمكن اعتباره طبيعة في بني البشر، فما إن تنطفئ جمرته ويتذكّر ويعود إلى رشده فيتوب عن ما بدر منه، كان ذلك من شيم الرّجولة، والقبول بالنّصيحة تدلّ على صلاح الحاكم، فما أحوجنا اليوم إلى علماء يصدعون بالحقّ للحقّ ليس إلاّ، ولا يريدون بذلك إلاّ النجاة لأنفسهم ولغيرهم من نار

جهنم. وما أحوجنا إلى علماء يتخيّرون الرّجال من أهل العلم، لإسداء النّصح لهم وللرّعية، ليصلح حال الجميع في مجتمع كلّ أبنائه عظماء: الحاكم والعالم والرّعية.

منذر بن سعيد بين الجِدّ والهزل:

في حالة الجدّ: كان منذر لا يرائي ولا يداهن ولا يميل عن الحقّ إذا جدّ الجدّ ولا يعرف طريقا إلى الممالأة، فإذا دام أحد أن يصيب من دينه، ثار ثورة الليث، فكان مثالا في المتانة وشدّة الجزالة. فهذا الخليفة الناصر قد اتخذ لسقف القبيبة بقصر الزهراء قراميد مغشّاة ذهبا وفضّة قرمد سقفها بها، فعندما أتمّها أُعجب بم صنع، فسأل وزراءه وأهل الخدمة مفتخرا بشأن ما صنع، فقالوا يا أمير المؤمنين، إنّك لواحد في شأنك كلّه، وما سبقك إلى مبتدعاتك هذه ملك رأيناه، ولا انتهى إلينا خبره، فسرّه ذلك.

وبينما هو كذلك إذ دخل عليه القاضي منذر بن سعيد، واجما ناكس الرّأس، فلمّا انتهى إلى مجلسه قال له ما قال لوزرائه، فانسكبت دموع القاضي تنحدر على لحيته، وقال له: والله يا أمير المؤمنين، ما ظننت أنّ الشّيطان – لعنه الله - يبلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكّنه من قبلك هذا التمكين، مع ما أتاك الله من فضله ونعمته، وفضّلك به على العالمين، حتى يتزلك منازل الكافرين، قال فانفعل عبد الرحمن لقوله، وقال له: أنظر ما تقول! وكيف أنزلتني منزلتهم؟ فقال له: نعم! أليس الله تعالى يقول: ﴿ولولا أن يكون النّاسُ أمّةً واحدةً لجعلْنا لمن يكفرُ بالرّحمن لبيوتِهِمْ سقْفاً من فضَّةٍ ومعارِجَ عليها يظْهرون﴾. الزخرف، الآية 33.

فوجم الخليفة وأطرق مليّا ودموعه تتساقط خشوعا لله سبحانه، ثمّ أقبل على منذر وقال له: جزاك الله يا قاضي! عنّا وعن نفسك خيرا ! وعن الدّين والمسلمين أجلّ جزائه ! وكثّر في النّاس أمثالك، فالذي قلت هو الحقّ، وقام عن مجلسه ذاك، وأمر بنقض سقف القبّة، وأعاد قرميدها ترابا على صفة غيرها(63).

والجميل في هذه القَصّة، أن يعظ القاضي ويتّعظ الحاكم، والأجمل منه أن يبكيان معا، خشوعا لله وتواضعا وتضرّعا، فالقاضي بكى لرقّة قلبه، وشفقته على حال النّاصر، والنّاصر بكى اعترافا بذنبه وإنابة إلى ربّه.

وفي موقف آخر نجده ينتصر للحقّ ويردّ زيف المدّعين فيما نقله إلينا صاحب الديباج المذهّب في قول بعضهم" كان الفقهاء يحسدون عبد الملك بن حبيب، لتقدّمه عليهم بعلوم لم يكونوا يعلمونها ولا يسرعون فيها، وكان أبو عمر ابن عبد البرّ يكذبهن وكان ابن وضّاح لا يرضى عنه،

وقال: لم يسمع من أسد، وقال القاضي منذر بن سعيد: لو لم يكن من فضل عبد الملك إلاّ أنّك لا تجد أحدا ممّن يحكي عنه معارضته والرّد لقوله ساواه في شيء وأكثر ما نجد أحدهم يقول كذب عبد الملك، أو أخطأ ثم لا يأتي بدليل على ما ذكره"[64].

ويشير المقّري أنّ القاضي منذر نزل بطرطوشة، عند رجل من أهل العلم يعرف بالجُبيري، فقال في ذلك أبو عبيد القاسم بن خلف الجُبيري الفقيه: نزل القاضي منذر بن سعيد على أبي بطرطوشة، وهو يومئذ يتولّى القضاء في الثغور الشّرقية، قبل أن يلي قضاء الجماعة بقرطبة، فأنزله في بيته الذي كان يسكنه، فكان إذا تفرّغ نظر في كتب أبي، فمرّ على يديه كتاب فيه أرجوزة ابن عبد ربّه، يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم، و لم يذكر عليّا، ثمّ وصل ذلك بذكر الخلفاء من بني مروان إلى عبد الرحمن بن محمد، فلمّا رأى ذلك منذر غضب وسبّ ابن عبد ربّه، وكتب في حاشية الكتاب:

أوما عليّ - لا برحت ملعَّنًا	يا ابن الخبيثة – عندكم بإمام؟
ربُّ الكساء وخير آل محمّدٍ	داني الولاءَ مُقَدَّمُ الإسلامِ

وقال أبو عبيد: والأبيات بخطّه في حاشية كتاب أبي إلى السّاعة[65].

ومن المفيد القول بأنّه لا وجود في أرجوزة مغازي عبد الرحمن النّاصر – التي وردت في ديوان ابن عبد ربّه، وعرفت بالأرجوزة التاريخية- لأيّ من الخلفاء الرّاشدين ولا حتى معاوية بن أبي سفيان. فهو يذكر أرجوزة مغازي عبد النّاصر[66]، ويلي ذلك ما قاله من شعر فيه، بداية من أوّل غزواته سنة 300 إلى غزوة سنة 322هـ[67].

وبالعودة إلى كتاب العِقد الفريد لابن عبد ربّه، نجده يرتّب خطبه في كتاب الواسطة في الخطب، حسب الترتيب الزمني للخلافة، حيث يذكر خطبة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم في حجّة الوداع، ثمّ خطب أبي بكر الصدّيق، فخطب عمر بن الخطّاب، ويليها خطبة عثمان بن عفّان، وينتقل بعدها إلى خطب عليّ بن أبي طالب كرّم الله وجهه، ليصل إلى خطب معاوية[68].

بمعنى أنّه تتبّع الترتيب الزمني لدولة الإسلام من لدن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، إلى قيام الدولة الأموية، معرّجا على الخلفاء الرّشدين بدون إقصاء ولا تهميش لأيّ منهم. وبمقابلة ما ذكر أعلاه مع ما وجدناه في المصادر أدناه يجدر بنا أن نتساءل عن حقيقة وجود هذا الكتاب ! فهل هو نسخة غير التي بين أيدينا؟ أم أنّ ذلك تلفيق أريد به النّيل من سمعة الرجلين؟ وفي غياب النّص الذي يثبت صحّة ما نقله صاحب النّفح، فإنّنا نشكّ في صحّة هذا الخبر ما لم يقم الدليل على ذلك!

وهل يمكن القبول بسبّ منذر لابن عبد ربّه بهذه السّهولة، دون أن يتبيّن في صحّة ونسبة ما ورد في هذه الأرجوزة إلى ابن عبد ربّه، وهو الرجل الذي لا تنقصه الفطنة والمنطق السّليم، ثمّ كيف يسبّ ودينه وورعه يمنعه من ذلك، فإن قبلنا بالخبر نكون قد حكمنا على الرجل بأنّه من الذين يعالجون الدّاء بالدّاء لا بالدّواء وحاشاه ذلك.

في حالة الهزل: ذكرت المصادر أنّ القاضي منذر كان على متانته وشدّة جزالته حسن الخلق، خفيف الوطأة، سهل الجانب، كثير الدّعابة، ومن ذلك ما حدّث به سعيد ابنه، قال: قعدنا ليلة من ليالي شهر رمضان المعظّم، مع أبينا للإفطار بداره البرانية، فإذا سائل يقول: أطعمونا من عشائكم أطعمكم الله تعالى من ثمار الجنّة هذه الليلة، ويكثر من ذلك، فقال القاضي: إن استجيب لهذا السّائل فيكم، فليس يصبح منّا واحد[69].

ومن نوادره أنّه كان يوما في حضرة الحكم المستنصر، في بستان الزهراء على بركة ماء طافحة، في يوم شديد الوَهَج، إثر منصرفه من صلاة الجمعة، فشكا إلى الخليفة من شدّة الحرّ، فأمره الخليفة أن يخفّف عن جسمه بخلع ثيابه، ففعل و لم يطف ذلك ما به، فقال له: الصواب أن تنغمس في وسط الصهريج انغماسة يبرد بها جسمك، و لم يكن مع الخليفة غير الحاجب جعفر الخادم الصقلبي أمين الخليفة، لا رابع لهم فاستحيا منذر، وانقبض عن ذلك وقارا، فأمر الخليفة حاجبه جعفرا بسبقه إلى النزول ففعل، فجعل يجول يمينا وشمالا، فقام القاضي وألقى بنفسه خلف جعفر، وقعد في درج الصهريج لا يتحرّك، فإذا بجعفر يعابثه بإلقاء الماء عليه، يريد أن يجذبه إليه وهو في مكانه ساكن، فقال له الحكم: ما لك لا تفعل فعله، فمن أجلك نزل وبسببك تبذّل، فقال له: يا أمير المؤمنين، الحاجب سلمه الله تعالى لا هوجل معه، يعني بذلك أنّ الحاجب خصي ويريد بمقالته أنثييه وأنّه مجبوب، والهوجل هو الذكر، فاستفرغ الحكم ضحكا من نادرته ولطيف تعريضه لجعفر، وخجل جعفر وسبّه سبّ الأشراف، وخرجا من الماء، وأمر لهما بخِلع، ووصلهما بصلات سنية تشاكل كلّ واحد منهما[70].

و/- منذر بن سعيد الزّاهد: كان منذر بن سعيد قمّة في التواضع، وأكثر تواضعه كان لأهل العلم، فإذا بحثّ عنه بينهم وجدته في انحطاط إليهم وإقبال عليهم[71]. قيل عنه: له الخطب المفحمة الخالصة، الخارجة من قلب مخلص سليم[72]، وسمّاه المقّري بالفقيه الزّاهد[73]، وساق له أشعارا في الزهد، ومنه قوله في الموت:

الموتُ حوضٌ وكلّنا نَرِدُ | لَمْ يَنْجُ ممّا يخافُهُ أحَدُ
فلا تكنْ مغرماً برزقِ غدٍ | فلستَ تدري بما يجيء غدُ
وخذْ من الدّهرِ ما أتاكَ بهِ | ويَسلمُ الرّوحُ منكَ والجسدُ
والخير والشرّ لا تُذِعْهُ فما | في النّاسِ إلاّ التشنيعُ والحسدُ[74]

وأورد له الفتح بن خاقان في مطمحه شعرا يحاسب فيه النفس على اللهو والتقصير في جنب الله وعدم تذكر الموت، حيث يقول:

كم تصابى وقد علاك المشيب | وتعامى عمدا وأنت اللّبيب؟
كيف تلهو وقد أتاك نذير | أن سيأتي الحِمامُ منـــك قريبُ؟
يـــا سفيها قد حان منه رحيلٌ | بعد ذاك الرّحيلُ يومٌ عصيبُ
إنّ للموت سكرةً فارتقبها | لا يداوي إذا أتتْكَ طبيبُ
كم تَوانى حتى تصير رَهينا | ثمّ تأتيكَ دعوةٌ فتُجيبُ
بأمور المعاد أنت عليمٌ | فاعْمَلَنْ جاهدا له يا أريبُ
وتذكّر يوماً تَحَسَبُ فيه | إنّ من يدّكرْ فسوفَ يُنيبُ
ليس من ساعةٍ من الدّهر إلاّ | للمنايا بها عليك رقيبُ[75]

لقد اتسم الخطاب الديني لمنذر بن سعيد في دروسه وعظاته بما يناسب المقام، من التخويف بالموت والدّعاء إلى الزّهد في الدّنيا، والإقصار عن اللّذات والشهوات واتّباع الهوى، كما فعل في نصحه للنّاصر عندما ابتنى مدينة الزهراء، حيث أورد في خطبته أحاديث وآثارا تشاكل ذلك، حتى خشي الناس وبكوا وأعلنوا التوبة والاستغفار[76].

وأثر عنه أنّه خطب يوما وأراد التواضع، فكان من فصول خطبته أن قال: حتى متى؟ وإلى متى؟ فكم الذي أعِظ ولا أتعظُ، وأزجُر ولا أزدجرُ، أدلُّ الطّريقَ على المستدلّين، وأبقى مقيما مع الحائرين؟ كلاّ إنّ هذا لهو الضّلال المبين ﴿إنْ هيَ إلاّ فِتنتُك تُضِلُّ بها من تَشاءُ وتَهدي من تَشاءُ﴾. الأعراف، الآية 155. اللّهمّ فرّغني لما خلقتني له، ولا تَشغلْني بما تكلّفتَ لي به، ولا تحرمني وأنا أسألك، ولا تعذّبني وأنا أستغفرك، يا أرحم الرّاحمين[77].

وممّا ذكر عنه في هذا المجال قحط الأندلس على آخر أيّام النّاصر، فأُمر بالاستسقاء بالناس فتأهّب لذلك، وصام بين يديه أيّاما، واجتمع له الناس في مصلّى الربض بقرطبة، وصعد الخليفة في

أعلى شرفات القصر ليشاركهم في الخروج والضّراعة له، ولما غصّت السّاحة بالمصلّين خرج منذر نحوهم ماشيا متخشّعا، فلمّا رأى إخبات النّاس وابتهالهم إلى الله، رقّت نفسه وغلبته عيناه، فاستغفر وبكى حينا ثمّ افتتح خطبته بقوله: سلام عليكم، ثمّ سكت و لم يكن من عادته ذلك، ثم اندفع تاليا بقوله: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كتب ربّكمْ على نفسِهِ الرّحمةُ أنّه من عمل منكم سوءاً بجهالةٍ ثم تابَ من بعده وأصلح فإنّه غفورٌ رحيمٌ﴾. الأنعام، الآية 54. استغفروا ربّكم وتوبوا إليه، وتزلّفوا بالأعمال الصّالحات لديه، فهاج النّاس بالبكاء وجأروا بالدّعاء، ومضى على تمام خطبته فقرّع النفوس بوعظه، وانبعث الإخلاص في تذكيره، فلم ينقض النهار حتى أرسل الله السّماء بماءٍ منهمر، روّى الثّرى وطرد المحل وسكّن الأَزْلَ، والله لطيف بعباده[78].

إنّ التواضع والزّهد اللذان جبل عليهما منذر بن سعيد في حياته، كان من ثمارها حصول كرامة من كرامات الأولياء، حدّث بها حكم بن منذر بن سعيد ابن حزم فذكر أنّ أباه رحمه الله، كان في جماعة في سفرة في صحراء، فعطشوا وأيقنوا بالهلكة، ونزلوا في ظلّ جبل ينتظرون الموت، قال فأسندت رأسي إلى حجر ناتئ فتأدّيت به، فقلعته فاندفع الماء العذب من تحته، فشربنا وتزوّدنا[79]. وكانت وفاته سنة 355هـ، وهو ابن اثنتين وثمانين عاما وسبعة أشهر[80].

الخاتمـــة: خلاصة القول: إنّ منذر بن سعيد البلّوطي كان ممّن حازوا العلم النّقلي بكلّ صنوفه، ورغم أنّه لم يكن في نسبه من أرومة العرب، فقد ارتقى وارتفع بعلمه فنال شرف العلم، الذي سوّده ونال به المراتب، فكان قاضي الجماعة بقرطبة مضافا إلى مهمّة الصّلاة بمسجدها الجامع، فلم يقصّر في هذه ولا تلك، و لم يحد عن الحقّ ولا أُثر عنه حكم جائر، طيلة 16 سنة من ممارسته للقضاء.

ترك منذر خلفه زادا وآثارا من خلال مؤلّفاته، التي ذكرتها المصادر الإسلامية، وما تزال جلّ هذه الآثار محفوظة بين دفتي المصادر متناثرة هنا وهناك بين هذا المصدر وذاك. و لم يكن العلم وحده ذخيرة صاحبنا، بل إنّ الأخلاق جمّلت هذا العلم، وزاده الإخلاص والتقوى والورع سموقا في نظر الخاص والعام، حتى أضحى قدوة ومثالا فريدا، وحصل له بتاج الزّهد الذي لبسه، الوصول إلى درجة الأولياء، وبات من أهل الكرامات الأصفياء.

الهوامش:

1-ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس "تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس"، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ/1997م، ص404.

2-ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص405. الفتح ابن خاقان، مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملح أهل الأندلس، تحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1403هـ/1983م، القسم الثاني، ص238. وجعل ابن سعيد ولادته سنة خمس وستين ومائتين. ينظر: المقري التلمساني، نفح

الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عبّاس، دار صادر- بيروت، طبعة 2004م، ج1، ص372. وعند ابن خلدون عبد الرحمن: أنّه ولد عام عشرة وثلثمائة. ينظر ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشّأن الأكبر، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس، أ. خليل شحادة، مراجعة، د. سهيل زكار، دار الفكر- بيروت، 1421هـ/2000م، ج6، ص138. قلت: والأصح عندي ما ورد عند ابن الفرضي وابن خاقان.

3-الضبّي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري- القاهرة، دار الكتاب اللبناني- بيروت، ط1، 1410هـ/1989م، ج2، ص620.

4-الحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عبّاس، مكتبة لبنان- بيروت، ط2، 1984، ص435.

5-ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر- بيروت، 1397هـ/1977م، م1، ص492.----6-ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص404.

7-ابن خلدون، المصدر نفسه، ج1، ص742. ابن الأزرق الأندلسي، بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار، دار السلام- القاهرة، ط1، 1429هـ/2008م، ج2، ص768. القنوجي صديق بن حسن الهندي، أبجد العلوم الوشي المرقوم في بيان أحوال العلوم، تحقيق عبد الجبّار زكّار، دار الكتب العلمية- بيروت، 1978، ج1، ص113.----8-ابن الفرضي، نفس المصدر والصفحة.

9-الغلاني صلاح بن محمد، قطف الثمر في رفع أسانيد المصنّفات في الفنون والأثر، تحقيق عامر حسن صبري، دار الشروق- مكة، ط1، 1405هـ/1985م، ص212-213. ابن خير الإشبيلي، فهرسة ابن خير الإشبيلي، تحقيق محمد فؤاد منصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1419هـ/1998م، ص312.

10-الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق عبد الكريم العزباوي، راجعه د. ضاحي عبد الباقي، د.خالد عبد الكريم جمعة، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي- الكويت، ط1، 1422هـ/2001م، ج36، ص52. السيوطي جلال الدين، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1418هـ/ 1998م، ج2، ص314.---11-ابن الفرضي، نفس المصدر والصفحة.

12-ابن حجر العسقلاني، المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة، تحقيق محمد شكور الميادين، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1418هـ/ 1998م، ص413. ابن خير الإشبيلي، المصدر نفسه، ص292.

13-الذهبي شمس الدين، العبر في خبر من عبر، تحقيق د. صلاح الدين المنجد، مطبعة حكومة الكويت-، ط2، 1984، ج2، ص308-309. اليافعي أبو محمد عبد الله بن أسعد، مرآة الجنان وعبرة اليقظان، دار الكتاب الإسلامي- القاهرة، 1413هـ/1993م، ج2، ص358.

14-ابن الأبار القضاعي، التكملة لكتاب الصلة، تحقيق عبد السلام الهراس، ، دار الفكر للطباعة- بيروت، 1415هـ/1995م، ج4، ص234.

15-ابن حجر العسقلاني، نفس المصدر والصفحة.

16-الضبّي، المصدر نفسه، ج2، ص622. الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر، جذوة المقتبس في ذكر ولاّة الأندلس، تقديم وشرح وضبط ووضع الفهارس د.صلاح الدين الهواري، المكتبة العصرية- صيدا- بيروت، ط1، 1425هـ/2004م، ص340.

17-الزبيدي أبو بكر محمد بن الحسن الأندلسي، طبقات النحويين واللغويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف- القاهرة، ط2، 1984، ص295. الزبيدي محمد مرتضى الحسيني، تاج العروس...، تحقيق عبد العليم الطحاوي، راجعه عبد الستّار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت، 1400هـ/1980م، ج19، ص171.----18-الفيروزأبادي محمد بن يعقوب، البلغة في تراجم أئمّة النحو واللغة، تحقيق محمد المصري، جمعية إحياء التراث الإسلامي- الكويت، ط1، 1407هـ/1986م، ص226.

19-الذهبي، المصدر نفسه، ج2، ص308.----20-الزبيدي أبو بكر، طبقات النحويين، ص295.

21-الخزاعي أبو الحسن علي بن محمود بن سعود، تخريج الدلالات السمعية على ما كان في عهد رسول الله من الحرف، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1405هـ/1985م، ص617. الغرناطي محمد بن أحمد بن محمد الكلبي، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل، دار الكتاب العربي- بيروت، ط4، 1403هـ/1983م، ج1، ص10.---22-الزبيدي أبو بكر، نفس المصدر والصفحة. الفيروزأبادي، نفس المصدر والصفحة.

23-ابن عطية الأندلسي أبو محمد عبد الحق بن غالب، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1422هـ/2001م، ج5، ص132.----24-ابن عطية الأندلسي، المصدر نفسه، ج5، ص147.

25-الشاطبي إبراهيم بن موسى اللخمي، الموافقات في أصول الفقه، تحقيق عبد الله دراز، دار الفكر العربي- بيروت، ط2، 1395هـ/1975م، ج3، ص373.----26-الزركشي بدر الدين محمد بن بهادر بن عبد الله، البحر المحيط في أصول الفقه، تحقيق وضبط النصوص وتخريج الأحاديث والتعليق عليها د.محمد محمد تامر، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1421هـ/2000م، ج1، ص539.

27-الخزاعي أبو الحسن، المصدر نفسه، ص617-618.----28-الزبيدي محمد مرتضى، المصدر نفسه، ج19، ص171.

29-المقري، المصدر نفسه، ج1، ص372.----30-الشاطبي، المصدر نفسه، ج3، ص369.

31-الزبيدي أبو بكر، طبقات النحويين، ص295.----32-ابن الفرضي، نفس المصدر والصفحة.

33-المصدر نفسه، ص404. المقّري، المصدر نفسه، ج3، ص169.----34-الزبيدي أبو بكر، نفس المصدر والصفحة.
35-اليافعي، المصدر نفسه، ج2، ص358.----36-المغربي أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن، مواهب الجليل لشرح مختصر خليل، دار الفكر- بيروت، ط2، 1398هـ/1977م، ج6، ص364.
37-المقري، نفس المصدر ونفس الجزء والصفحة.----38-ابن حزم الأندلسي، الفصل في الملل والأهواء والنحل، تحقيق محمد إبراهيم نصر وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل- بيروت، ط2، 1416هـ/1996م، ج4، ص142.
39-ابن كثير القرشي أبو الفداء، البداية والنهاية، مكتبة المعارف- بيروت، (د.ت)، ج1، ص75.----40-ياقوت الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، تحقيق إحسان عبّاس، دار الغرب الإسلامي- بيروت، ط1، 1993، ج5، ص2717.
41-الزبيدي أبو بكر، نفس المصدر والصفحة.
42-النباهي أبو الحسن الأندلسي، تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا، تحقيق دة. مريم قاسم الطويل، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، صص89-93. المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، ضبطه وحقّقه وعلّق عليه مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة لجنة التآليف والترجمة والنشر- القاهرة، 1359هـ/1940م، ج2، صص272-276. المقري، نفح الطيب، ج1، صص368-371. صفوت أحمد زكي، ذيل جمهرة خطب العرب، المكتبة العلمية- بيروت، (د.ت)، ج3، صص169-173. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص2717-2720. ----43-المقري، نفح الطيب، ج1، ص373-374.
44-المصدر نفسه، ج1، ص373. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص2722. ابن خاقان، المصدر نفسه، ق2، ص244. الزبيدي أبو بكر، طبقات، ص296.---45-الحميدي، المصدر نفسه، ص339-340.السيوطي، المزهر، ج2، ص314. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص2721.
46-المصدر نفسه، ج5، ص2722. القاضي عياض بن موسى اليحصبي، الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، تحقيق السيّد أحمد الصقر، دار التراث- القاهرة، المكتبة العتيقة- تونس، ط1، 1379هـ/1970م، ص138. الصفدي صلاح الدين، الوافي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث- بيروت، 1420هـ/2000م، ج9، ص115.----47-المقري، نفح الطيب، ج2، ص22.
48-ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص2717-2718.----49- المقري، النفح، ج2، ص512.
50-ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص404. الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب- بيروت، ط1، 1407هـ/1987م، ج26، ص133. ----51-ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص2718.
52-عليش محمد، منح الجليل شرح على مختصر سيدي خليل، دار الفكر- بيروت، 1409هـ/1989م، ج8، ص126.
53-المالكي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد، شرح ميارة الفاسي، تحقيق عبد اللطيف حسن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1420هـ/2000م، ج2، ص69. الصاوي أحمد، بلغة السالك لأقرب المسالك، تحقيق ضبط وتصحيح محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1415هـ/1995م، ج3، ص403.
54-الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط9، 1413هـ/1993م، ج16، ص174-175. العمري صالح بن محمد بن نوح، إيقاظ همم أولي الأبصار، دار المعرفة- بيروت، 1398هـ/1978م، ص82.
55-ابن عبد البرّ النمري، جامع بيان العلم وفضله، دار الكتب العلميت- بيروت، 1398هـ/1978م، ج2، ص131-132.
56-النباهي، المصدر نفسه، ص99.----57-ابن خاقان، المصدر نفسه، ق2، ص253-254. المقري، النفح، ج2، ص19-17.
58-ابن الأبّار، التكملة، ج1، ص152.----59-الذهبي، سير أعلام، ج8، ص249.----60-النباهي، المصدر نفسه، ص93-94.
61-ابن سعيد المغربي، المغرب في حلى المغرب، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف- القاهرة، ط3، 1955، ج1، ص183. المقري، أزهار الرياض، ج2، ص277-279.----62-المصدر نفسه، ج2، ص278 وما بعدها.
63-نفسه، ج2، ص280-282. النباهي، المصدر نفسه، ص97-98. ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص2720-2721. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج25، ص443-444. الحنبلي ابن عماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، دار ابن كثير- دمشق، ط1، 1406هـ/1986م، ج3، ص4و5.
64-ابن فرحون المالكي، الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، دراسة وتحقيق مأمون بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1417هـ/1996م، ص255.----65-المقري، النفح، ج2، ص511-512.
66-ابن عبد ربّه الأندلسي، ديوان ابن عبد ربّه، جمع وتحقيق وشرح د.محمد رضوان الدّاية، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط1، 1399هـ/1979م، ص181-183.-----67-ابن عبد ربّه الأندلسي، المصدر نفسه، صص183-210.

68-ابن عبد ربّه الأندلسي، العِقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية- بيروت، ط1، 1404هـ/1983م، ج4، صص147-177.----69-ابن خاقان، المصدر نفسه، ج2، ص254. المقري، النفح، ج2، ص17.

70-الرشاطي أبو محمد وابن الخرّاط الإشبيلي، الأندلس في اقتباس الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تقديم وتحقيق إميليو مولينا وكاثينتو بوسك بيلا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية بالتعاون مع العالم العربي- مدريد، 1970، ص44/النباهي، المصدر نفسه، ص98-99/المقري، النفح، ج2، ص18-19.----71-الزبيدي أبو بكر، طبقات النحويين، ص295.----72-الحنبلي ابن عماد، المصدر نفسه، ج3، ص17.

73-المقري، النفح، ج4، ص357.---74-المصدر نفسه، ج1، ص374.---75-نفسه، ج1، ص375-376. ابن خاقان، المصدر نفسه، ق2، ص239.---76-ياقوت الحموي، معجم الأدباء، ج5، ص2720-2721.

77-النباهي، المصدر نفسه، ص93. المقري، أزهار الرياض، ج2، ص277.---78-المصدر نفسه، ج2، ص279-280. النباهي، المصدر نفسه، ص95-96. ابن خاقان، المصدر نفسه، ق2، ص249-251. الذهبي، تاريخ الإسلام، ج25، ص444.---79-ابن حزم الأندلسي، ج5، ص108.

80-ابن الفرضي، المصدر نفسه، ص405. الفيروزأبادي، البلغة، ص226. السيوطي، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر- بيروت، ط2، 1399هـ/1979م، ج2، ص301. الزبيدي محمد مرتضى، تاج العروس، ج36، ص52. الذهبي، العبر، ج2، ص309. اليافعي، مرآة الجنان، ج2، ص358. ابن الأثير الشيباني، الكامل في التاريخ، تحقيق عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط2، 1415هـ/1995م، ج7، ص367. ابن الأثير الشيباني، اللباب في تهذيب الأنساب، دار صادر- بيروت، 1400هـ/1980م، ج1، ص176.الزركلي خير الدين، الأعلام، دار العلم للملايين- بيروت، 2002، ج7، ص294.

ABSTRACT: Mondir Ben Said El-Ballouti

Mondir was born in 273h/886 A.D. in Fahs-el-Ballout- near Cordoba- where many Berber people were living. He was a great Andaloussian personality in many sides. He was a scholar in Fikh, dogma (Akida) and monotheism (Belief in the unity of God), linguistics literature and grammar as well. In addition to that he was an orator and a poet. He had many books as "El-Ahkem book" that explains the holy Coran and its rules and principles. And "El Nassikh wa el mansoukh book" and also "El Ibana of original facts of religion". This later is related to monotheism and Akida.

He became a famous man for Al-Andalous people after he had made his famous speech with the presence of Abd-al-Rahman III (El- Nasser) in the ceremony of the coming messenger of Costantine VII "Porphyrogenitus" (348-334H/945- 959A.D), the chief (holder) of Costantinoble. When Abd-al-Rahman III sat in his throne to meet the delegations in Cordoba palace on Saturday the eleventh of Rabie el Awel 338h. So El-Nasser put him in charge of prayer and oratory in Alzahara mosque.

He inclined to Daoud El Dahery doctrine, but when he was working as a judge, he was following the doctrine of the state that was Malek ben Anes doctrine, he was also famous by his modesty and abstinence. He was asking people to be abstinent in life. In addition, he had many poems about death and self- accounting.

To sum up, Mondir ben Said El-Ballouti was among great personalities that respected science as a result, science respected them. He didn't neglect his prayer in Cortoba Mosque. And when he held the position of a judge, he never oppresed or mis judged people at that time during the 16 years of working. He left a big luggage after his publications and work that were mentionned by islamic sources. Besides all that, he was characterized by a perfect character, honesty and loyalty as well. Until he became an ideal and a great symbol to other people. He passed away in 355H/966 A.D at the age of 82 years and seven months.